# التشيّع في دير الزور

## مراحل التشيّع منذ البدايات
## وحتى الوقت الراهن

contact@deirezzor24.net www.deirezzor24.net
DeirEzzor24 DeirEzzor24 deirEzzor.24 D24net DeirEzzor 24

All rights reserved © 2020
جميع الحقوق محفوظة © 2020

# خط زمني لبعض أهم الأحداث المرتبطة بالتشيّع في دير الزور

**2017** — بناء حسينية في عين علي، قرب مدينة القورية

**2017** — عودة الشيخ نواف البشير إلى سوريا وإعلانه الولاء لإيران، ومساهمته في نشر التشيع

**2012** — تأسيس ميليشيا لواء الباقر

**1992** — رفع الأذان الشيعي لأول مرة في بلدة حطلة

**1983** — إغلاق جمعية المرتضى بعد حلّها

**1981** — ياسين المعيوف ابن عم عمر حمادي يصبح رئيسا لفرع جمعية المرتضى بدير الزور

**1981** — جمعية المرتضى التي أنشأها جميل الأيد تفتتح مقرا لها في دير الزور

**1979** — الرقيب أول عمر حمادي يتشيّع، وبذلك يكون أول من اعتنق التشيّع في دير الزور

# "التشيّع" في دير الزور

## (مراحل التشيّع منذ البدايات وحتى الوقت الراهن)


- ملخّص تنفيذي
- مقدّمة
- مفهوم "تصدير الثورة/ التشيّع" لدى إيران
- حركة التشيّع في سوريا (البدايات)
- خريطة توزّع حركة التشيّع الجديد بسوريا وموقع دير الزور فيها
- دير الزور على خريطة النفوذ الإيراني وعلاقته بالتشيّع
- كيف تنظر العشائر للتشيّع ودوره المُستحدث في العمق العشائري؟
- كيف تنظر مختلف القوى الفاعلة في المنطقة للتشيّع؟
- علاقة تنظيم داعش مع ملف التشيّع
- أهم التحديات التي تواجه تمدّد حركة التشيّع في دير الزور
- خاتمة / توصيات ومقترحات

## ملخّص تنفيذي

*يحاول هذا البحث الوقوف على مسألة "التشيّع" التي صارت منذ بداية التدخّل العسكري الإيراني في سوريا مسألة خطيرة، سيكون لها تداعياتها، في محاولة من إيران لتلعب بالتركيبة الدينية الطائفية في دير الزور، وهي توازي في خطورتها التغيير الديمغرافي، وذلك أنّها محاولة تغيير فوقيّة، ويتقصّى البحث بدايات التشيّع في سوريا، والوقف على التشيّع الحديث، وبخاصة منذ بداية الثمانينات وهو العام الذي شهد أولى بذور التشيّع في دير الزور في مجتمع لم يعرف التشيّع تاريخيا.*

*كما يتناول البحث كيفية تعامل العشائر مع هذا الملف، وكذلك محاولة فهم علاقة مختلف القوى الفاعلة في دير الزور مع ملف التشيّع، وربط ملف التشيع مع سياسات إيران، وليقدّم البحث في النهاية مجموعة مقترحات وتوصيات للتعامل مع الملف الذي يعد ملفا حساسا من شأنه خلق أزمة مجتمعية عشائرية في حال لم يتم التعامل مع الحساسيّة المُثارة حولها بجدية.*

*وقد اعتمد البحث في أجزاء منه على المصادر الميدانية، حيث تنشط شبكة دير الزور 24 في جميع مناطق دير الزور ولها قدرة وصول عالية، من حيث متابعة المعلومات وحتى التأكد من المعلومات الميدانية، إضافة إلى مقابلات مع مواطنين من دير الزور وتوجيه أسئلة متعلّقة بالبحث إليهم.*

## مقدّمة

يُعدّ ملف التشيّع في العالم العربي، اليوم ملفّا موضوعا على طاولة النقاش، وبخاصة بعد تدخّل إيران "السافر" في عدد من الدول العربية مستغلّة موجة التغيير التي تعصف بالبلدان العربية فيما يُعرف بـــ "الربيع العربي"، ويُعدّ تدخّلها العسكري المباشر في سوريا أبرزها، يُضاف إليها دخولها في حرب بالوكالة في اليمن، وتدخلات سياسية وعسكرية لا تنتهي في العراق.

وتجد إيران صعوبة في التدخّل في العمق العربي ومصطدمة دوما بحاجز الطائفة، فهي تُريد التأثير في البلدان العربية ذات الطائفة السنية في غالبيتها، لذلك كان لابدّ من خلق أجواء لهذا التدخّل، فكانت البداية عبر اللعب على الوتر القومي وتبنّي القضية الفلسطينية وإن كان ذلك إعلاميا، ومن ثم اللعب على وتر الطائفية، عبر "الأقلية" الطائفية الشيعية في البلدان العربية، ومجاوزة هذا الأمر أيضا لتدخل عبر "القوة الناعمة" والترويج للتشيّع واختيار بيئات مناسبة أو خلقها لبيئات جديدة، فنرى محاولات لنشر التشيّع في بلدان كتونس والجزائر وغيرها من دول إفريقية.

في بحثنا هذا سنتناول ملف التشيّع في سوريا، وتحديدا في بيئة مختلفة تقليديا عن المناطق السورية الأخرى التي حاولت وتحاول إيران فيها نشر التشيّع، ألا وهي بيئة دير الزور، فالمحافظة التي تقع على ضفاف الفرات والمعروفة بعمقها وطابعها العشائري، تشهد الآن حِراكا باتجاه نشر التشيّع، ويُساعدها في ذلك مجموعة عوامل، فهي تمتلك قوى عسكرية وتستقطب مجموعات شباب "سنّة" وتلعب على الوتر الاقتصادي مستغلّة الظروف الاقتصادية السيئة،

وتقدّم لهم مزايا، إضافة إلى لعبها على وتر "آل البيت" فتستغلّ تقاطعات في نسب عشيرة البقّارة (البگارة) ووصولها لآل البيت، حتى وإن كانت عشيرة سنّية، فنجحت في تشييع جزء منها.

يتناول البحث ملف التشيّع عبر إطار تنظيري عام حول تبنّي إيران نظرية (تصدير الثورة/ التشيّع) التي أعقبت انتصار الثورة الإيرانية ونشوة الانتصار التي ساهمت في قمعها للداخل وتصدير النشوة تلك إلى الجوار، وكان تصدير الثورة من الصعوبة ما جعلها تصدّر التشيّع كأداة ناعمة، بإمكانها معها خلق حلفاء عقائديين في المنطقة العربية.

ثم يتناول البحث بدايات التشيّع في سوريا، ومن ثم ملف التشيّع الجديد وموقع دير الزور فيها، ومحاولة رصد عمليات التشيّع الجديدة ومدى انتشارها، ومنظور العشائر لملفّ التشيّع، وكذلك رؤية القوى المختلفة لهذا الملف، وعلاقته بإيران الدولة، ومن ثم الوقوف على أبرز التحديات التي تواجه ملف التشيّع في دير الزور، وتقديم توصيات ومقترحات في النهاية.

واعتمد البحث في أجزاء منه على المصادر الميدانية، حيث تنشط شبكة دير الزور 24 في جميع مناطق دير الزور ولها قدرة وصول عالية، من حيث متابعة المعلومات وحتى التأكد من المعلومات الميدانية، إضافة إلى مقابلات مع مواطنين من دير الزور وتوجيه أسئلة متعلّقة بالبحث إليهم.

## مفهوم "تصدير الثورة/ التشيّع" لدى إيران

كان لصعود الثورة الإسلامية وتسلّم الخميني لمقاليد الحكم بعد ثورة شعبية قادها الإيرانيون، دورٌ في إحياء الأحلام الإمبراطورية لإيران، وكان الحلم هذه المرة بمفاهيم وأدوات جديدة، وذلك عبر مفهوم "تصدير الثورة" الذي تبنّاه آية اللّه الخميني، بعد نشوة الانتصار في إيران والنجاح في جعل إيران دولة ذات حكم ديني ثيوقراطي، وبمذهب ديني شيعي متمثّلا بالمذهب الجعفري الإثني عشري، مذهب الدولة الرسمي، راح الخميني يفكّر بتصدير "الثورة" ولكن تصدير الثورة ذات الطابع الديني الطائفي الشيعي، اصطدم غالبا بأوساط عربية "سنّية" والوسط العربي الإسلامي، هو بالذات ما أراد الخميني التأثير فيه، لذلك كان لابدّ لتحقيق هذا الهدف العمل على اللعب على وتر "المظلومية الشيعية" في البلدان العربية، حيث توجد أقليات شيعية في بلاد الشام والخليج العربي، وكان ذلك أيضا أحد الأسباب غير المباشرة في الحرب العراقية – الإيرانية التي استمرّت لثمان سنوات، كما أنّ إيران دعمت مليشيات شيعية في لبنان في حربها الأهلية وأسهمت بتأسيس حزب اللّه اللبناني، وساهمت في دعم الشيعة في البلدان العربية، وذلك عبر قناتي "تصدير الثورة" عبر دعم الأقلية الشيعية وإحياء مفهوم المظلومية الشيعية ومن خلفها مفاهيم ثورة الحسين، وعبر قناة "تصدير التشيّع" والتي كانت الأهمّ لاحقا، وذلك للحصول على قاعدة شعبية في العمق العربي السنّي، وذلك لأنّ من شأن التحوّل المذهبي، أن يُساهم في تحوّل الولاءات السياسية أيضا، فكما أنّ الولاء السياسي الشيعي العربي تحوّل بطريقة أو بأخرى صوب إيران، فإن من شأن نشر التشيّع كسب مزيد من التأييد.[1]

[1] في هذا الإطار يكتب أحمد يحيى جعفر: (مثلت تلك العقيدة تحديدًا، محورَ إزكاء الصراع ونقله من داخل إيران إلى خارجها، وبدأت أسراب فارس تعبر الخليج إلى أرض الجوار، وتأثّر بها الشباب وقادة الرأي في مختلف البلدان، إلا أن المحور الأخطر تمثّل في الجانب الطائفي الذي أحيته الثورة الإيرانية بعد أن تلبّست بالثوب الشيعي الخالص، ورأى الشيعة العرب في إمام فارس روح مهديهم المنتظر ومخلّصهم الموعود، فما بين "الطموح الخميني" والرغبة الجماهيرية في التغيير التقت روح الثورة الإيرانية مع جيل جديد قرّر أن يصنع التغيير). إيران وعقيدة تصدير الثورة: البضاعة في أسواق العرب، أحمد يحيى جعفر، موقع جيل (شباب عربي)، آخر زيارة ٢٠٢٠/٣/٢، بالإمكان قراءة كامل المقال عبر الرابط.

وهكذا كان الانتقال ما بين "التصديرين" فـ (كان الفشل مصير مشروع "تصدير الثورة" لنُعاين الانخراط الإيراني الجمعي في المشروع البديل، وعنوانه "تصدير التشيّع" وهو المشروع الذي حظي بنجاحات لم يتوقّعها صنّاع القرار في المنطقة العربية).[٢]

و"تصدير التشيّع" هو حقيقة مُعاشة اختبرتها المنطقة العربية، وفي بيئات جغرافية لم يكن فيها حتى تواجد شيعي تاريخي، لذا نجد من يتسائل عن حقيقة مشروع التشيّع، فهل (نحن أمام مشروع شيعي بالفعل، أو لنقل "تصدير التشيّع" إلى دول المنطقة العربية والإفريقية والأوربية، أم إنّ الأمر خلاف ذلك؟ وهل الظاهرة ليست بهذا التضخيم الإعلامي الذي يصدر بين الفينة والأخرى؟).[٣]

وكانت أحداث "الربيع العربي" التي حملت رياح التغيير، والتي ترافقت في مناطق كسوريا واليمن مع صراعات دامية لا تزال قائمة حتى اللحظة، دورٌ في إحياء مفاهيم إيران حول "تصدير الثورة/ التشيّع" حيث أنّ إيران لجأت إلى المشاركة بقوة السلاح في الصراع السوري، واليمني، وقامت معه بأداء دور موازٍ متمثّلا بإشاعة "المذهب الشيعي" والذي لم تنجح فيه حتى الآن، إذا ما تم مقارنته بما قدّمته لأجله من دعم ومال، ولكن هذا الأمر واقع، و"حركة التشيّع" ربما تكون قوة ناعمة تتنامى، وقد تشهد قفزات فيما إذا قيّضت لها الظروف المؤاتية.

وعلى الخريطة السورية شهد التشيّع انتعاشا على مستوى التبشير به، وكانت مناطق كدير الزور والتي بالكاد لا أثر يُذكر للتشيّع فيها، تشهد حديثا متناميا – وإن ببطئ – حول "حركة التشيّع"، وهي متوازية بالطبع مع تغيّر سيطرة القوى العسكرية، فالحديث عن انتشار التشيّع مرتبط بسيطرة القوى العسكرية "الإيرانية/ الشيعية"، لكن الحديث عن التشيّع بالتأكيد سيكون باقيا في حال انحسار هذه

[٢] المعضلة العربية في التفاعل مع استراتيجيات "تصدير التشيّع"، منتصر حمادة، من ملفّ خاص بـ "التشيّع في العالم العربي"، مجلة ذوات، العدد ٦٠، ٢٠٢٠. ص ١٥. رابط مباشر لـ النسخة الإلكترونية.

[٣] سعيدة شريف، مجلة ذوات، من ملفّ خاص بـ "التشيّع في العالم العربي"، مجلة ذوات، العدد ٦٠، ٢٠٢٠. ص ٥. رابط مباشر لـ النسخة الإلكترونية.

القوى، لكن بالتأكيد سيشهد تغيّرات كبيرة ولن يكون في النهاية من السهل الاستمرار في تنشيط حركة التشيّع في غياب الغطاء العسكري "الميليشيات/ جيش الأسد" أو السياسي، سياسة "حكومة الأسد" المتقرّبة حتى المدى المنظور أيضا للتوجّه الإيراني الشيعي.

## حركة التشيّع في سوريا (البدايات)

لا شك أنّ الحديث عن الأقليات الطائفية في سوريا كان حديثا ممنوعا نقاشه في العلن، ونحن نتحدّث عن حقبة صعود البعث بالتأكيد، وكان الحديث عن التنوّع الطائفي والإثني العرقي حديثا في الشأن العام الذي لم يكن فضاءا متاحا، وتعدّ حقبة الثمانينات والمجازر التي ارتكبها جيش الأسد بحقّ الإخوان المسلمين من الفترات التاريخية الحسّاسة التي تلتها حالة رعب من الخوض في موضوعات مرتبطة في الدين، فلا حديث عن السلفية ولا تخصيص للحديث عن أهل السنة والجماعة ولا طوائف أخرى من قبيل العلوية والدروز والإسماعيلية ولا حتى الشيعة.

وكانت الخطابة الدينية مقيّدة إلى موضوعات محدّدة في الدين واقتصرت على موضوعات غير ذات طابع إشكالي من قبيل (أركان الإسلام – حلاوة الإيمان – البر والتقوى) وفي أحسن الأحوال عن الأمور الحياتية اليومية.

لذا كانت الهويات الدينية الأقلّوية كالشيعة غير متاحة للحديث عنها قدحا أو ذما أو مديحا لغير أهله، والمقصود بهم من أتاح لهم النظام التحرّك في فضائه أو التبشير به.

أما تاريخيا فإنّ جذور التشيّع في سوريا فتعود إلى (القرن الأول الهجري، إلا أنّه أخذ في الانتشار في القرن الرابع الهجري، مع سيطرة الدولة الحمدانية الشيعية على حلب، واستمرت خلال عهد الدولة

الفاطمية، إلا أنّها انحسرت مع بداية الدولة الأيوبية والعثمانية بسبب محاربتهم لها، إلى أن أصبح الشيعة الإثني عشرية بحلول القرن العشرين، أقلية صغيرة للغاية في سوريا).[٤]

ومع أنّ القرن العشرين شهد في بداياته وتحديدا في العام ١٩٢٥ حِراكا في اتجاه نشر التشيّع على يد عالمٍ ديني يُدعى عبد الرحمن الخيّر، إلا أنّ الحِراك لم يكن مُجديا وذا أثر إلا بعد صعود حافظ الأسد وتسلّمه مقاليد الحكم وانقلابه على رفاقه البعثيين الذين تسلّموا مقاليد الحكم منذ بداية الستينيات، وتحديدا مع (زيارة "موسى الصدر" في عام ١٩٧٤، إلى شيوخ الطائفة العلوية في المنطقة الساحلية من البلاد، وقد سبقه "آية اللّه الشيرازي"، الذي أصدر الفتوى الشهيرة، والتي تفيد أنّ أهل تلك المنطقة ينتمون إلى الشيعة الإثني عشرية).[٥]

ومع أنّ العلوية لا يعتبرون أنفسهم شيعة إمامية إثني عشرية، إلا أنّهم يعدّون من الفرق الباطنية الشيعية، ويذكرهم الشهرستاني صاحب "الملل والنِحل"[٦] باسم النصيرية، وهو الاسم الذي استخدمه الباحثون المسلمون، إلا أنّهم لا يُعرفون إلا باسم "العلويّة" ويُحصيهم الشهرستاني ضمن غلاة الشيعة، إلا أنّ الواضح والجلي هو أنّ العلويين يرفضون أن يتم لصقهم بالشيعة الإثني عشرية.

ويبدو أنّ فتوى الشيرازي وتوجّه العلويّة الذين صاروا يمتلكون زمام الأمور في الدولة السورية، كان له الدور الأبرز في صعود ملفّ التشيّع، لكن (لم تتحوّل إلى أعداد كبيرة إلا بسبب أنشطة "جميل الأسد المكثفة"، الشقيق المتديّن لـ "حافظ الأسد"، وذلك خلال فترة ثمانينات القرن العشرين، فقد بدأ "جميل الأسد" بتشجيع التحوّل إلى المذهب الشيعي في المنطقة نفسها، وبخاصة بين أعضاء الطائفة العلوية).[٧]

---

[٤] موسوعة إيران والتشيّع السياسي/ إبراهيم المقدادي، إشراف د. سالم حميد، ط ١ دبي: مركز المزماة للدراسات والبحوث: ٢٠١٨. بالإمكان الإطلاع على الاقتباسات عبر الرابط الإلكتروني خلال هذا الرابط، مع إمكانية الإطلاع على النسخة الورقية الصفحات ١٠١.

[٥] نفس المصدر، ص ١٠٤.

[٦] أبو الفتح الشهرستاني (ت. ٥٤٨ هـ) هو أحد علماء مذهب الأشاعرة الذين كان لهم بعض المؤلفات المشهورة في التراث الإسلامي، أشهرها كتاب "الملل والنحل" الذي يتحدّث عن الطوائف الإسلامية باختلافها.

[٧] موسوعة إيران والتشيّع السياسي، مصدر سابق، ص ١٠٤.

وكان لتأسيس جمعية المرتضى[٨] من قبل "جميل الأسد دور في نشر التشيّع بتركيز أكبر بين أبناء الطائفة العلوية بغاية إظهار أنّ العلويين ينتمون إلى المجتمع الأكبر من الشيعة وليسوا أقلية، ونشطت كذلك في مناطق متعدّدة أخرى في سورية.

وعقب قمع النظام العراقي للشيعة في بداية التسعينات، توجّه العشرات من الشخصيات الشيعية إلى دمشق ومارست نشاطا شيعيا دعويا شبه رسمي، وبضوء أخضر من الأسد، وافتتح آية اللّه محمد حسين فضل اللّه، مكتبا في حي السيدة زينب في دمشق للتشيّع، ومنح مساحة من الإعلام لنشر التشيّع حيث تم بث برنامج للمبشّر الشيعي العراقي "عبد الحميد المهاجر".

وقد أخذ التشيّع منحى جديدا بعد أحداث تموز في جنوب لبنان، والتي أظهرت حسن نصر اللّه الأمين العام لحزب اللّه اللبناني بمظهر البطل في الإعلام السوري وقاهر إسرائيل، حيث أنّ فئة من الناس لم تعد ترى حرجا في الالتفات والانتقال إلى التشيّع.

إلا أنّ التشيّع والتبشير به أخذ أبعادا أخرى بعد التدخّل العسكري الإيراني في الصراع السوري المسلّح، بعد أن ساعدت حكومة إيران النظام السوري في النيل من المحتجّين السلميين وقمع الاحتجاجات.

و(منذ العام 2012، تطوّر الشيعة في سورية على الصعيد المؤسّسي، عبر سلسلة خطوات بدءاً من إطلاق حركات كشفية خمينية، في حمص ودمشق مثلًا، وصولًا إلى إنشاء سلطة دينية خاصة بالطائفة، تتمثّل بالمجلس الإسلامي الجعفري الأعلى في سورية الذي تأسّس في العام 2012، في خطوة مُستلهَمة من المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان. ظهرت هذه المؤسسات في الوقت نفسه تقريبًا مع بدء التدخلات من جانب إيران وحزب اللّه وشيعة العراق في النزاع السوري).

[٨] جمعية المرتضى، هي جمعية خيرية أسّسها "جميل الأسد" الذي خلع على نفسه لقب الإمام المرتضى واستمرت من (١٩٨١ - ١٩٨٣)، وقد تم حلّها في نهاية العام ١٩٨٣ بعد وقوف "جميل الأسد" إلى جانب أخيه "رفعت الأسد" لمحاولة الاستئثار بالسلطة عقب مرض "حافظ الأسد" الذي أمر بحلّ الجمعية بعد تماثله للشفاء.

ويبدو أنّ لتوقيت إعلان المجلس الإسلامي الجعفري علاقة وثيقة بدور إيران العسكري في سوريا، حيث (يشي إنشاء المجلس الإسلامي الجعفري الأعلى في سورية بأنّ إيران، التي أدّت دورًا أساسيًا في إنشاء المجلس...فقد انبثق المجلس من النزاع السوري).[٩]

## خريطة تورّع حركة التشيّع الجديد بسوريا وموقع دير الزور فيها

إنّ تبنّي المذهب الإثني عشري الشيعي في إيران منذ تسلّم الخميني لمقاليد الحكم جعل كلّ التيارات والمذاهب الشيعية الأخرى أقلّيات شيعية، وكان الانتصار الذي حققته الثورة الإسلامية والسمعة التي صدّرتها للدول العربية "الإسلامية" على خلفية نصب العداء العلني لإسرائيل، حتى وإن كان عداء في مستوى التصريحات، دور في جعل هذا المذهب الشيعي دون غيره متصدّرا، كما أنّ الدعم المادي الذي قدّمته إيران بغرض نشر التشيّع تشمل هذا المذهب فقط، لذلك كان التشيّع التبشيري إن صحّ التعبير مقتصرا على الإثني عشرية، ومعه حراكٌ موازٍ لتحويل العلوية إلى هذا المذهب.

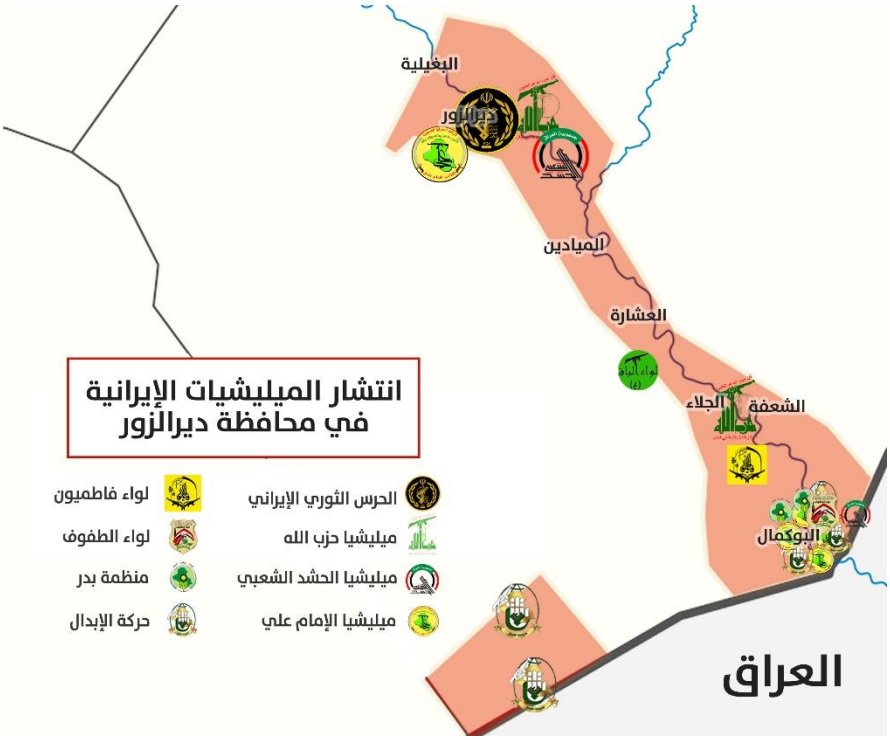


[٩] انبعاث الشيعة، مهند الحاج علي، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، آخر زيارة، ٢٠٢٠/٣/٨، بالإمكان الإطلاع على المقال في الرابط.

فكانت سوريا على موعد مع نشر التشيّع في عدة مناطق سوريا، فبدأت من الأماكن التي تجد لنفسها فيه موطئ قدم، فوجدت في شخص "جميل الأسد" دورا من الممكن أن يؤديه بين أبناء طائفته العلوية، إضافة إلى فسح المجال أمام أئمة التشيّع في أحياء دمشق الشيعية تاريخيا كحي الأمين والسيدة زينب، ونجحت في نشر التشيّع وإن على نطاق ضيّق في معظم المحافظات السورية (حيث يعيش الشيعة في معظم المحافظات السورية، مع وجود أعلى نسبة في طرطوس، 44٪ من السكان الشيعة في سوريا).[١٠]

ولجأت إيران إلى نشر التشيّع عبر عدة أساليب، أولاها إحياء المزارات أو ما تُسمّى بالمقامات "الشيعية" فهي نقاط ارتكاز للدعوى الشيعية حيث أنها تخلع القدسية والشرعية على الدعوة الشيعية، إضافة إلى قيمتها الروحية لأولئك الذين يتشيّعون حديثا، حيث تعدّ بمثابة مناطق يحجّها الشيعة، مثل مقام السيدة زينب في دمشق، وجلّ المقامات لا وجود تاريخيّ لها، بل يكتفون ببعض الروايات التي تتحدّث بحوادث تاريخية لإقامة المزارات والمقامات، ومن الأساليب التي قوت حضورهم في سوريا هو بناء الحوزات العلمية والحسينيات ومؤسّسات التعليم الثانوي والعالي الشيعي.

وربّما يستغرب المراقب من بعيد من الحديث عن محافظة كدير الزور وعن دور للتشيّع فيها أو حتى وجود أثر شيعي فيها، فهي محافظة ذات نسيج اجتماعي عشائري وينتمي أبناؤها للمذهب السنّي، ولا وجود تاريخي للتشيّع بين أبنائها، لكن دير الزور بالفعل يوجد فيها تشيّع ومحاولات لأجل تشييع أبناء العشائر.

وللحديث عن التشيّع في دير الزور، علينا الحديث بداية عن نقاط الارتكاز التي كان يلجأ إليها الشيعة، فهم كانوا يستهدفون في دمشق مثلا العائلات التي كانت أصولها تعود إلى عوائل شيعية، وقد نجحت في نشر التشيّع بين هؤلاء، وفي أماكن أخرى كدير الزور استغلّت أفراد من عشائر كالبقّارة التي تقول بعودة نسبها إلى الإمام محمد الباقر (ت 114 هجري)، وبالفعل بدأ التشيّع الانتشار من هناك، وتتقاطع

[١٠] موسوعة إيران والتشيّع السياسي، مصدر سابق، ص ١٠٣.

المصادر وتؤكّد أنّ أول ظهور للتشيّع في دير الزور كان في بداية الثمانينات، حيث إنّ عشيرة البقّارة وهي من كبرى العشائر/ القبائل في دير الزور وتحديدا فخذ البوبدران والمشهور والهلامية قد تأثرت بالدعوة الشيعية، وهنا ينبغي الحديث عن الرقيب أول "عمر الحمادي" الذي تأثر بضباط من الطائفة العلوية أثناء خدمته للجيش، حيث قدّمت له وعود مالية مغرية، وهو من بلدة "حطلة" وحين عاد إلى بلدته في دير الزور استطاع إقناع أحد أبناء عمومته وصهره ياسين المعيوف، والذي تشيّع وانضم إلى "جمعية المرتضى" التي بدأت نشاطها التبشيري منذ تأسيسها في بداية الثمانينات، وأصبح المعيوف رئيسا لفرع الجمعية في البلدة.

وتردّد المعيوف على المسؤولين الإيرانيين سواء في الساحل السوري حيث برز نشاطهم أو من خلال الحوزة في السيدة زينب بدمشق، وبرز في تلك الأثناء أيضا أسماء حسين الرجا وأبناؤه إلى جانب أسماء أخرى ظهرت لاحقا، وهو الذي أصبح مندوبا للبعثات التبشيرية، حيث كانوا يتلقّون مبالغ مالية لنشر التشيّع.

وكانوا يقومون بدفع مبالغ مالية شهرية للمتحوّلين إلى التشيّع تتراوح ما بين خمسة آلاف إلى سبعة آلاف ليرة سورية، والتي كانت تساوي ضعف مرتب موظّف حكومي، إضافة إلى إقامة المآدب وإقامة حفلات الزفاف الجماعية على نفقتهم وتسهيل مهور الزواج، وثمة نقطة تحوّل أخرى في نشر التشيّع في دير الزور، حيث أنّ الآذان الشيعي رُفع لأول مرة في جامع بلدة "حطلة" في العام ١٩٩٢، وذلك عقب عودة ياسين المعيوف من إيران، كما تم بعد ذلك إنشاء الحسينيات في قرية الصغير وقرية الكسرة وقرية الصعوة وهي أيضا من قرى البقّارة.

كما انتشر التشيّع في قرية الشميطية والتي تقطنها عشيرة البوسرايا والذين ادّعوا أنّ نسبهم يعود لآل البيت، مع أنّ المعروف عنه وفق العارفين بالأنساب يعودون بهم إلى قبيلة/ عشيرة العقيدات

(العكيدات) أو إلى الأسلم من بطون شمّر، ويُعرف أنّ من بين أكبر المتشيّعين هناك المدعو أحمد طعمة والذي يحمل شهادة الدكتوراه من جامعة كراتشي الباكستانية.

وحاول حسين الحاضر من المتشيّعين من قبيلة / عشيرة العقيدات (العكيدات) أن ينشط في خشّام وجديد عكيدات والبصيرة، لكن دون أن ينجح وذلك بعد إحراق بعضهم لخيمة كانوا قد نصبوها في جديد البقارة (البكارة) حيث كان من المزمع أن يزورها الداعية الشيعي عبد الحميد المهاجر.

وشهدت دير الزور في التسعينات وبدايات الألفية الثالثة ترويجا للمذهب الشيعي عبر توزيع الكتيّبات والمنشورات الدعوية، وبخاصة بعد أن صارت أنشطة التشيّع معلنة بشكل أكبر بعد أحداث الثورة السورية، فقد شهدت مناطق عدة تسيطر عليها الميليشيات الإيرانية أو جيش الأسد حملات ترويجية للتشيّع، و(شهدت مدينة الميادين أعدادا من المتحوّلين حديثا إلى التشيّع بالدعوة إلى اعتناق المذهب الشيعي أمام المساجد وفي الأماكن العامة).[١١]

ويبدو أنّ التشيّع في مرحلة البدايات أي منذ بداية الثمانينات وحتى قبيل الثورة السورية بقي في معدلات منخفضة جدا، وذلك بحسب دراسة للباحث خالد سنداوي أعدّها ونشرها في العام 2009، حيث يذكر فيها أنّ (معدلات التشيع في محافظات القنيطرة، دير الزور، والرقة، هي معدلات ضئيلة إلى درجة لا تستحق الذكر، وهذا خلافا لما أشيع قبل سنوات عن توسع نشاط التشيع في دير الزور والرقة على وجه الخصوص!)، وكيف أنّ (نسبة إجمالي المتحولين من السنة إلى التشيع في عموم سوريا لا تتخطى 2٪، وهي نسبة ضئيلة جدا وغير مستهجنة، لاسيما إذا علمنا أنّ نحو 7 في المئة من المسلمين السنة الذين تحولوا في منطقة دمشق، ينتمون إلى أسر سورية كانت في الأصل شيعية، ولكنهم تحولوا إلى

[١١] الحواضن الشيعية ضمانة النفوذ الإيراني في سوريا بعد الانسحاب العسكري، صحيفة العرب، آخر زيارة ٢٠٢٠/٣/٦، بالإمكان الإطلاع على كامل المقال على الرابط.

سنة مع مرور الزمن، مثل عائلات: العطار، قصاب حسن، لحام، بختيار، إختيار. أما في حلب، فنسبة 88 في المئة من السنة المتشيعين كانوا أيضا من عائلات ذات أصل شيعي).[١٢]

وكان هناك معلومات تفيد بتقديرات لأعداد المتشيّعين في محافظة دير الزور، على الرغم من غياب إحصائيات دقيقة فهي تصل بحسب هذه التقديرات إلى (1710)من الشبان والرجال السوريين من أعمار مختلفة، ويظهر نشاط التشيع في عدة مدن في منطقة غرب نهر الفرات في ريف "دير الزور"، هي مدينة الميادين وريفها، ومدينة البوكمال وريفها، وقرى "حطلة" و"مراط" والمسرب).[١٣] لكن الواقع هو بالتأكيد أكبر من هذه الأرقام وذلك أنّ منتسبي الميليشيات غير متضمنون فيها، وكذلك أولئك المقرّبون من الميليشيات الإيرانية، والذين إما هم متشيّعون، أو هم في دائرة يمكنهم معها التشيّع، فالميليشيات لم تكن تُجبرهم على التشيّع، لكنها كانت تقدّم مزايا للمتشيّعين منهم.

## دير الزور على خريطة النفوذ الإيراني وعلاقته بالتشيّع

لدير الزور أهمية كبرى بالنسبة لإيران، لأسباب أهمّها الإبقاء على حركة العبور بينها وبين مناطق تمتلك فيها أذرعا وملفات استراتيجية، وطريق العبور هذا هو طهران، بغداد، دمشق، بيروت، أي على خطى تنفيذ مخطّط الهلال الشيعي، وقد كثّفت من تواجدها في دير الزور، حيث تنشط فيها العديد من الميليشيات التي تتبع لها هناك.

[١٢] في إحصائية نشرتها دراسة للباحث خالد سنداوي نُشرت في العام ٢٠٠٩ تخلُص إلى أنّ نسبة إجمالي المتحولين من السنة إلى التشيع في عموم سوريا لا تتخطى ٢٪، وهي نسبة ضئيلة جدا وغير مستهجنة، لاسيما إذا علمنا أنّ نحو ٧ في المئة من المسلمين السنة الذين تحولوا في منطقة دمشق، ينتمون إلى أسر سورية كانت في الأصل شيعية، ولكنهم تحولوا إلى سنة مع مرور الزمن، مثل عائلات: العطار، قصاب حسن، لحام، بختيار، إختيار. أما في حلب، فنسبة ٨٨ في المئة من السنة المتشيعين كانوا أيضا من عائلات ذات أصل شيعي. "التشيع في سوريا".. ملف يرصد كيف بدأ تحويل التوجه الديني وتأثيره على العلويين والسنة، زمان الوصل، آخر زيارة ٢٠٢٠/٣/٦، بالإمكان الإطلاع على الملف عبر الرابط.

[١٣] من الدعم العسكري إلى الثقافة والاقتصاد.. إيران تسيطر على مفاصل سوريا بالكامل، المرصد السوري لحقوق الإنسان، آخر زيارة ٢٠٢٠/٣/٥، بالإمكان الإطلاع عبر الرابط.

ومن هذه الميليشيات: الحرس الثوري الإيراني، وميليشيا حزب اللّه، وميليشيا الحشد الشعبي، وميليشيا الإمام علي، ولواء فاطميون، ولواء الطفوف، ومنظمة بدر، وحركة الإبدال، كتيبة سيد الشهداء.[١٤]

وتتوزّع الميليشيات الإيرانية على الضفة اليسرى لنهر الفرات، ويتمركز الحرس الثوري الإيراني وميليشيا فيلق القدس في البوكمال، ولواء زينبيون وفاطميون والحرس الثوري في العشارة والقورية، بينما يتقاسم الدفاع الوطني والحرس الثوري الإيراني على الميادين.[١٥]

ومع أنّ مواقع توزّع القوى تتغيّر، إلا أنّه من الممكن تتبع تمركز هذه الميليشيات، من خلال التوزّع التالي:

أولا: ميليشيات فاطميون: ويستقر في مدينة الميادين، والعشارة، وضفاف الفرات في الميادين، ثانيا: الحرس الثوري الإيراني، ويستقرّ في مدينة دير الزور، ومدينة الموحسن، وقرية محكان في مدينة الميادين، ومطار دير الزور، والطريق الواصل بين مدينة البوكمال ومحطة "الكم" النفطية شرق دير الزور, ثالثا: اللواء 47 في دير الزور، بمدينة البوكمال، ولواء القدس، بين الميادين والبادية، وغالبيتهم إيرانيون، وأفغان وعراقيون وقلة سورية، وحركة النجباء، وحزب اللّه اللبناني، لهم مقرات بدير الزور وينتشرون على الحواجز بين دير الزور والميادين، ولواء الباقر في الميادين أيضا.[١٦]

لكن إيران لا تسعى إلى انتصار عسكريّ لأجل تثبيت أركان نظام الأسد في سوريا فحسب، بل هي تسعى لخلق موطئ قدم لها في سوريا على المدى البعيد، واتبعت إيران بالفعل مجموعة أساليب لتثبيت هذا الحضور في سوريا، وكانت دير الزور من المناطق التي تعتمد عليها إيران ولا تزال، لضمان تنفيذ مخطّط

[١٤] مشروع إعداد خارطة بمواقع انتشار الميليشيات الشيعية، فيليب سميث، معهد واشنطن، آخر زيارة ٢٠٢٠/٣/٦، بالإمكان قراءة المقال على هذا الرابط.

[١٥] إيران وميليشياتها في ديرالزور .... مناطق انتشارها ونقاطها العسكرية، فيديوغرافيك، شبكة دير الزور ٢٤، للإطلاع على الفيديوغرافيك، انظر إلى الرابط.

[١٦] التواجد العسكري لإيران وميلشياتها في دير الزور(القيادات والمليشيات والمواقع)، ضياء قدور، مركز طوران، بالإمكان الإطلاع على الدراسة عبر الرابط.

الهلال الشيعي، ولأنّ لها فيها ولاءات مذهبية تتسع شيئا فشيئا، وتزايدت وتيرته بعد أحداث الثورة السورية.

وقد حاولت الميليشيات الإيرانية ضم العشرات من أبناء القبائل، ومع أنّه لم تشترط عليهم أن يتحوّلوا إلى المذهب الشيعي، إلا أنّهم قاموا بالضغط بهذا الاتجاه بطرق غير مباشرة، فللشيعة في صفوف الميليشيات حوافز ومزايا أكثر من غيرهم، كما انّهم يحظون بثقة قوّادهم، كما أنّه تواردت أنباء عن إخضاع منتمي الميليشيات لدورة دينية شيعية مدفوعة الأجر، إضافة لكثيف حملات نشر الكتيّبات التي تتحدث عن التشيع وتشجع عليه.[١٧]

وكان لافتتاح الحسينيات، والمدارس الشرعية، وإحياء بعض المزارات أو حتى إنشاؤها كما في عين علي دور كذلك في تثبيت مذهب التشيّع، إضافة لرفع الآذان الشيعي، وهي الأدوات غير المباشرة للهيمنة الإيرانية الثقافية، والتي تضمن هيمنة اقتصادية وعسكرية استراتيجية.

## كيف تنظر العشائر للتشيّع ودوره المُستحدث في العمق العشائري؟

حين الحديث عن العشائر في دير الزور فإنّه يكون حديثا عن المجتمع في دير الزور ككلّ، إذ أنّ البنية المجتمعية هي بنية عشائرية، لا يزال أبناؤها ينادون بها، حتى وإن كانت طبيعة علاقة أبناء العشيرة مع عشيرتهم قد اختلفت، إلا أنّها لا تزال في الوجه الخارجي على الأقل وفي الإطار العام ذات أثر، لذا فإنّ العشيرة معروفة بتحالفاتها وديانتها ومذهبها وولاءاتها باعتبارها هويات رديفة، لذا فإنّ اعتبار هذه العشائر تتبع لمذهب السنة هو شيء تعارفوا عليه، ولم يوجد حتى بداية الثمانينات مذاهب دينية

[١٧] إيران تبدأ بنشر كتيبات تحمل أفكار المذهب الشيعي في ديرالزور، موقع مدار اليوم، بالإمكان الإطلاع عبر الرابط.

بينهم، لا شيعية ولا غيرها، إلا مع ظهور تيار التشيّع في سوريا وبدعم وتوجيه من حافظ الأسد الذي حاول تحريك هذا الملف لكن بحذر شديد ودون تأليب الغالبية السنية في سوريا، بل وإنّه قام بالصلاة في مساجد السنة وإظهار مظهر الرئيس "السنّي" بما يُعرف في أدبيات المذاهب الباطنية بـــ "التقيّة" وفي المقابل وضع ملف التشيّع وتحريك الهوية المذهبية عن طريق "جميل الأسد" ومن ثم عبر قنوات أخرى منها ملف المعارضين العراقيين الشيعة الفارّين من النظام العراقي.

لذا لم يتم تسجيل حِراك للشيعة إلا بداية الثمانينات، وتحديدا مع بعض الأفراد من عشيرة البقّارة، التي كان لها خلفية يُمكن الاستناد عليها كمدخل لنشر التشيّع، ألا وهو ربط العشيرة تاريخيا بآل البيت، ومن ثم المظلومية الشيعية في محاولة لربط العشيرة بالسياق الراهن لانتصار "ثورة المظلومية الشيعية" متمثّلة بالثورة الإيرانية التي نجحت في خلف موازنة بين المذهب والدولة.

## عشيرة البقّارة (البگارة) والتشيّع

من المعروف أنّ قبيلة / عشيرة البقّارة وهي إحدى أكبر العشائر في سوريا وثاني أكبر العشائر في دير الزور أنّها سنية في مذهبها، حتى وإن عادوا بنسبهم إلى الإمام محمد الباقر والذي تم الترويج لهذه الرواية عقب انتشار التشيّع بين صفوف أبنائها بداية من الثمانينات ولتلقى انتشارا أوسع بعد الثورة السورية، وذلك أنّ نهجهم العملي في ممارسة الدين – حتى قبل نشر التشيّع – لا يمت إلى المذهب الشيعي بأي صلة، فالبقّارة هي عشيرة سنّية، ولم تنجح كلّ محاولات التشيّع في أن تطغى على مسمّاها كعشيرة سنّية، وإن المتشيّعين كانوا حالات في القبيلة الكبيرة.

وكان للشيخ نواف البشير؛ شيخ البقّارة دور في تعزيز التشيّع، وبخاصة بعد ارتهانه للإيرانيين والأسد في بداية العام 2017 بعد أن كان معروفا عنه كمعارض سياسي منذ بداية التسعينات، حيث أنّه كان

وجها عشائريا معارضا، وكان نواف البشير (أحد المساهمين في "ربيع دمشق" من خلال "منتدى صحنايا" الذي يرأسه المعارض السوري رياض سيف، والذي كان جزءا من ستة منتديات شكلت فيما بعد "ربيع دمشق"...وعُقد مؤتمر للمعارضة السورية في محافظة دير الزور سمي بـ "إعلان دير الزور"، أواخر عام 2004 ضم أكثر من 286 شخصية....في مضافة نواف البشير قرب دير الزور وبمشاركته...وتم اختيار البشير عضواً في الأمانة العامة لإعلان دمشق ثم عضوًا في هيئتها الرئاسية).[١٨]

وحين انشقّ البشير عن المعارضة السياسية السورية، بالتنسيق مع إيران وحزب اللَّه، وتذرّع بانشقاقه على أنّه ضدّ استخدام السلاح في الثورة، وقد استفادت إيران من هذا التحوّل ليتم الاستفادة من وجود البشير في نشر التشيّع مستغلّين ثقله العشائري.

وقد أعلن البشير ولائه لإيران على الملأ منذ انشقاقه، ووضع نفسه تحت تصرف قادات الحرس الثوري الإيراني، ويبدو أنّها طلبت إليه تجنيد الشباب وتشييعهم، حيث تنقّل البشير في هذه الفترة بين لبنان في الضاحية الجنوبية لدى مقرات حزب اللَّه وبين طهران، ليتلقى التوجيهات والأوامر، ثم عاد بعدها إلى سوريا منسقًا مع لواء الإمام الباقر لتشكيل ميليشيا على غرار الحشد الشعبي (الشيعي) في العراق، ولعب البشير على عاملين في جذب الشباب لاعتناق المذهب الشيعي؛ أولهما الفقر الذي يلفّ معظم الشباب من أبناء العشائر في ظلّ الحرب القائمة، فعمل على إغرائهم بالمال الإيراني، وثانيهما عامل عشائري يستند إلى العودة بنسب القبيلة/ العشيرة (البكارة) إلى آل البيت، ووجوب دفاعهم عن الأماكن المقدّسة".[١٩]

[١٨] نواف البشير... والرحلة من الثورة السورية إلى طهران، محمد حسّان، موقع درج، آخر زيارة ٢٠٢٠/٣/١٠، بالإمكان الإطلاع على المقال عبر الرابط.

[١٩] مشروع التشييع في دير الزور من الجذور إلى الذروة، ملف من إعداد شبكة دير الزور ٢٤، بالإمكان قراءة الملف عبر الرابط.

وكان لتأسيس لواء الباقر ولواء الحسين من أبناء البقّارة دور في نشر التشيّع أو لنقل في حماية المتشيّعين السابقين، وتشجيع المتشيّعين الجدد، وبخاصة الإغراءات المالية، أو التضييق، حيث يورد أحدهم أنّه وبعد بدء التشيّع في المنطقة (صار السنّي من عشيرة البوبدران في موقف محرِج ومعرّض للمضايقات...كما أنّ هناك متشيعون سرا في السابق، أعلنوا تشيعهم على الملأ، وبدأ التشيع يغزو الميادين والبوكمال ومدينة دير الزور مع توغل ميليشيات الحرس الثوري داخل حطلة وأرياف دير الزور).[٢٠]

## كيف تنظر مختلف القوى الفاعلة في المنطقة للتشيّع؟

لا يُمكن الحديث عن تعامل القوى الفاعلة المختلفة في سوريا مع ملفّ التشيّع دون الحديث عن كيفية نظر هذه القوى الفاعلة للدور الإيراني، إذ أنّ القوى المختلفة تنظر إلى التشيّع كأداة إيرانية، لذلك فإنّ تعاملها هو مع القوى الإيرانية العسكرية، وترى مختلف القوى أنّ تحجيم دور إيران العسكري من شأنه تحجيم جميع أنشطة إيران الأخرى.

وبينما ينظر النظام السوري إلى إيران كحليف استراتيجي، وداعم له وبالتالي فإنه يغض الطرف عن جميع أنشطته الاقتصادية والثقافية، بل ويدعم ملفات كنشر التشيّع أيضا، فإنّ القوات الروسية غير مرتاحة تماما للنفوذ الإيراني المتزايد في سوريا، ومنها دير الزور بطبيعة الحال.

وحاولت روسيا تكثيف حضورها بعد إعلان الانسحاب الأمريكي نهاية العام 2019، وتصاعدَ صراع "خفي" بين روسيا وإيران، ولعبت روسيا دورا متزايدا لتكون راعية الاتفاقيات ما بين قوات سوريا الديمقراطية والنظام وتركيا، فيما لجأت إيران إلى استقطاب السوريين عبر "القوة الناعمة" و(لتحقيق أهدافها، اعتمدت إيران على تعزيز عمليات "التشيع" ودفع المبالغ المالية، لمن ينتسب إلى قواتها).[٢١]

[٢٠] من حديث أحد أهالي المنطقة، التقته دير الزور ٢٤ وسجّلت عنه هذه الملاحظات، والتي تتقاطع مع مصادر ميدانية أخرى.

[٢١] تفاصيل "الصراع المكتوم" بين روسيا وإيران في سوريا، موقع قناة الحرة، آخر زيارة ٢٠٢٠/٣/١٤، بالإمكان الاطلاع على المقال عبر الرابط.

كما أنّ دير الزور شهدت (خروج رتل عسكري مشترك بين القوات الروسية وقوات النظام في دورية لأول مرة، داخل مدينة الميادين الخاضعة لسيطرة القوات الإيرانية والميليشيات الموالية لها، في ريف دير الزور الشرقي).[٢٢]

وكان لإعلان انسحاب القوات الأمريكية من سوريا نهاية العام 2019، ومن ثم تحجيم القرار وتحويله، دور في ملف التواجد الإيراني، حيث أنّ كبح الجماح الإيراني في سوريا وتقليص هيمنتها في العراق أحد أهداف أمريكا الاستراتيجية، لذا فإنّه أبقى على قوات صغيرة في سوريا، وتعزيز قوات أكثر في العراق، حيث أشارت تقارير إعلامية إلى أنه يتم بناء قاعدتين جديدتين في الرمانة قرب منطقة القائم، وأخرى في منطقة الرطبة غرب مدينة الأنبار.

ويبدو أنّ دير الزور هي أحد النقاط الأهم التي تحاول أمريكا ضرب التواجد الإيراني فيها أو الحد منه، لضرب المشروع الإيراني من طهران إلى بيروت، وبالتالي تسهيل نقل السلاح إلى الميليشيات المرتبطة به، وتعرّضت إيران لضربات متعدّدة في سوريا على يد إسرائيل، وأمريكا كان أشدّها وطأة مقتل قاسم سليماني قائد فيلق القدس بالعراق.

أما قوات سوريا الديمقراطية فقد حصلت بينها وبين إيران والنظام السوري مناوشات وصِدامات، وبخاصة بعد خروج مظاهرات ضد تواجد الإيرانيين والنظام في المنطقة، وذلك في أيلول 2019، وقام العشرات برفقة قوات سوريا الديمقراطية باعتصام ضمن خيمة في المنطقة الفاصلة ما بين مناطق نفوذ النظام والإيرانيين ومناطق نفوذ قوات سوريا الديمقراطية، و(ذلك في إطار الحملة التي تقف خلفها قسد لدفع المواطنين بالخروج ضد قوات النظام بغية سيطرة الأول برفقة التحالف الدولي على كامل منطقة شرق الفرات بريف دير الزور)٢٣٠

[٢٢] الشرطة العسكرية الروسية تنتشر بالقرب من منطقة الميادين شمال شرق سوريا، المرصد السوري لحقوق الإنسان، آخر زيارة ٢٠٢٠/٣/١٤، بالإمكان قراءة الخبر عبر الرابط.

[٢٣] الميليشيات الموالية لإيران في دير الزور تجيش ضد التحالف الدولي وقسد شرق الفرات، المرصد السوري لحقوق الإنسان، آخر زيارة ٢٠٢٠/٣/١٤، بالإمكان قراءة التقرير كاملا عبر الرابط.

ومن القوى الفاعلة في دير الزور المملكة العربية السعودية، التي تنظر إلى أي تحرّك إيراني في الحاضنة السنية تهديدا لها، وبخاصة أنّها الآن باتت تتدخل أكثر من أي وقت مضى في الملفات الإقليمية.

ونجد ذلك جليا في حوار أحد السياسيين من أبناء الميادين، حيث يقول (نجد أنّ إيران قطعت شوطًا في مشروعها الطائفي في غرب الفرات، حيث تعمل على نشر التشيّع بعد أن اختارت مدينة الميادين – وأنا ابن المدينة – مركزًا لمشروعها... مستغلة في ذلك إحجام أكثر من 90 ٪ من الأهالي من العودة إليها، وهو ما يمهّد لتغيير ديموغرافي يتوازى مع عدم قدرة الأهالي على العودة إلى ديارهم)، كما أنّ أفق الحل في سوريا (لن يكون إلا امتدادًا للدور العربي بقيادة المملكة العربية السعودية التي ظلّت إلى جانب تطلعات الشعب السوري في سياق سياسة تاريخية ثابتة وراسخة في الدفاع عن القضايا العربية).[٢٤]

ولذلك أيضا كانت السعودية في البداية الداعم الرئيسي للجيش الحر، والذي سيطر على مساحة أكثر من 80 في المئة في دير الزور، لكن بعد تسلّم محمد بن سلمان ترك الملف السوريّ، وبعدها ظهر تنظيم داعش، واستطاع السيطرة على جميع المناطق التي كان الجيش الحر يسيطر عليها.

## علاقة تنظيم داعش مع ملف التشيّع

في خطاب تنظيم داعش يبدو جليا أنّه يصنف الشيعة ضمن الفرق المخالفة للدين، وبالتالي ينبغي محاربتهم، وقد فعلت بهم الكثير من قتل وتهجير وتنكيل في العراق، وتسمّيهم بـ "الرافضة" وهو وصف لغويّ دينيّ يخصّص غالبا للشيعة الإثني عشرية، وقد استخدمه ويستخدمه تنظيم داعش للدلالة

[٢٤] المشروع الإيراني الطائفي يسعى لتغيير ديموغرافي وينشر التشيّع، حوار مع رئيس التيار العربي المستقل الدكتور محمد الشاكر، جريدة الرياض، آخر زيارة ٢٠٢٠/٣/٥، بالإمكان الاطلاع على كامل الحوار عبر الرابط.

على الإيرانيين الشيعة، وقد دمّر التنظيم العديد من أضرحتهم ومزاراتهم، وقد أعلن وزير الخارجية الأمريكي جون كيري في آذار 2016 بأنّ أعمال العنف التي ارتكبها تنظيم داعش الإرهابي بحق المسلمين الشيعة والأقليات الدينية الأخرى في سوريا والعراق، بلغت حدّ الإبادة الجماعية. وقال (إن تنظيم داعش مسؤول عن الإبادة الجماعية ضد مجموعات تحت سيطرته من الإيزيديين والمسيحيين والشيعة).[٢٥]

إلا أنّ كون الشيعة أقلّية دينية في سوريا لم يدع مجالا لهجوم واسع عليهم، واكتفوا بمحاربة الميليشيات الإيرانية المهاجِمة مع جيش الأسد والمتحالِفة معهم.

وعلى الرغم من أنّ التنظيم كان يُناصِبُ العِداء للشيعة، إلا أنّه كان للتنظيم دور سلبي في نشر التشيّع في دير الزور, وذلك يبدو من خلال مجموعة الأمور التالية، فقد لجأ في سنوات سيطرته بين أعوام 2014 – 2019 إلى سحب السلاح من الأهالي وجعل المنطقة منزوعة السلاح، حيث باتت المنطقة الخارجة من سيطرة جيش الأسد قبل ذلك منطقة دون سلاح مع قوانين صارمة لكل من يكون بحوزته قطعة سلاح مهما كان نوعه، وهو الأمر الذي أدى إلى سيطرة الميليشيات الإيرانية وجيش الأسد على المناطق التي انسحب تنظيم داعش منها في وقت لاحق، مع معرفتهم أنّ أهالي المنطقة لا يمتلكون أسلحة لعرقلة سيطرتهم الكاملة، وضمان عدم رفع السلاح ضدّهم، فكان لذلك دور في العمل بيُسر في مناطق "سنّية" والبدء بعمليات نشر التشيّع تحت ظلال سلاح الميليشيات الإيرانية وجيش الأسد.

كما لجأ تنظيم داعش إلى إحياء المسألة الفقهية التي تقول بأنّ "خُمس الغنائم هي لآل البيت" وهي تعني فيما تعنيه أن من يأتي بالتنظيم بشجرة نسبه التي يصل بها إلى آل بيت النبوة، فإنّ من حقه الحصول على نسبة خمسة في المائة من الأموال التي يُسيطرون عليها إبان المعارك التي يخوضها التنظيم، وهذا الأمر دفع بعدد من العشائر إلى المُسارعة في إثبات نسبها وتقديمه لمسؤولي تنظيم

[٢٥] كلمة وزير الخارجية الأمريكي جون كيري حول داعش والإبادة الجماعية، الموقع الرسمي للسفارة الأمريكية والقنصليات الأمريكية في العراق، بالإمكان قراءة الكلمة كاملة عبر الرابط.

داعش، حيث أنّ هناك شهادات من المنطقة تؤكد تقديم بعض العشائر لأنساب مزوّرة عن طريق تقديم شجرة النسب، كما أنّ التنظيم لم يدقّق كثير في صحة هذه الأنساب، وكانت هذه خطوة إلى الأمام باتجاه التشيّع، فهو الوتر الذي لعبت عليه إيران وتيّار الدعاة الشيعة في سوريا، حيث كانوا يستهدفون العشائر التي تقول بأنّ نسبها يصل لآل البيت، كما حدث مع عشيرة البقّارة (البكارة).

كما أنّ غضّ الطرف من قبل التنظيم عن المتشيّعين سابقا كان أحد الأسباب في خروج هؤلاء في أول فرصة، حيث أنّه لجأ إلى إخضاع المتشيّعين السابقين لدورات شرعية، وكان أقل صرامة، حيث أنّه كان متشدّدا في أمور كالتدخين وسب الذات الإلهية أو الإنضمام لأحد الفصائل المسلّحة أكثر من صرامته مع المتشيّعين السابقين، مما أعطاهم مجالا للعودة حين سنحت الفرصة لذلك.[٢٦]

## أهم التحديات التي تواجه تمدّد حركة التشيّع في دير الزور

إنّ طبيعة المجتمع العشائري في دير الزور يجعل للبنية الاجتماعية دورا كبيرا في عدم التحوّل بين مذهب وآخر أو دين لآخر، لما للأعراف العشائرية من دور في قبولها للأفراد المتحوّلين دينيا او مذهبيا، ومن الصعب اعتبار أمور مثل التحوّل إلى التشيّع حرية شخصية أو خاصة بالفرد وحده، فمن الممكن في حالات مشابهة أن يفقد الفرد المتحوّل حاضنته المجتمعية العشائرية، ومن الممكن أن يتم مقاطعة هؤلاء الأفراد، لذلك نجد أنّ التشيّع وانتشاره برز من خلال طريقتين؛ أولا بين أبناء العشيرة الواحدة، كبعض فروع عشيرة البقّارة، لذلك لم يجد الكثير منهم حرجا في التشيّع، إلا أنّ الأمر مختلف لدى العشائر الأخرى التي لم يتم ملاحظة تحوّل الكثيرين منهم صوب التشيّع، وإن حصل ذلك فإنه على نطاق ضيّق، كما أنّ بعضهم مارس التقيّة لإخفاء تشيّعه.

[٢٦] مشروع التشييع في دير الزور من الجذور إلى الذروة، ملف من إعداد شبكة دير الزور ٢٤، في هذا الملف تذكر الشبكة مجموعة أسباب ساهمت في انتشار التشيّع بسبب سياسات تنظيم داعش، وقد تم ذكر جزء من هذه الأسباب، بالإمكان قراءة الملف كاملًا عبر الرابط.

وتعتبر العشائر في دير الزور متديّنة بالإسلام على مذهب أهل السنة والجماعة، ومع أنّ الغالبية غير متشدّدون في الدين، إلا أنّهم يُجاهرون حين السؤال بمذهبهم الديني، ويعتبر المغتربون من أبناء دير الزور في الخليج وبخاصة السعودية من أولئك الذين وقفوا في وجه الدعوات التي تدعو إلى التشيّع، حيث أنّ هؤلاء تأثروا بالسلفية، وبالتالي كان لهم دور مضاد للتبشير الشيعي، أما السبب الأبرز لعدم نجاح التشيّع في الانتشار في العمق العشائري هو أنّ التشيّع شيء مستحدث، ولم يكن موجودا في السابق.

ويرى البعض أنّ نظام الأسد كان يحارب السلفية ويضعهم في خانة واحدة مع الإخوان المسلمين، أو يدعوهم بالوهابية، بينما في المقابل يقوم بدعم الصوفية، والطرق الصوفية وبخاصة الخزنوية (النقشبندية) حيث أنّه قام بتسليمها الأمور الشرعية وإدارة المساجد وتعيين الأئمة، وذلك بسبب أنّهم لا يمانعون من وجود الشيعة أو التشيّع، كما أنّ لجوء الدعاة الشيعة إلى الترغيب بالمال كان له تأثير سلبي في بعض الأحيان،[٢٧] حيث أنّه لم يكسب متشيّعين عقائديين كما ينبغي للدفاع عن "المقدّسات الشيعية"، وذلك على عكس الحالة الشيعية في العراق أو لبنان، حيث أنّها تستند إلى إرث عقائدي يجعل من السهولة أن يقاتلوا لأجل "مقدّسات شيعية".

إنّ بقاء النظام السوري وعدم انتقال السلطة وعدم تغيير البنية في النظام السياسي وتفكيك السلطة الأمنية، سيكون عاملا في اتجاه تأصيل حركة التشيّع وراعية لها، خاصة مع الخطوات التي تقوم بها إيران إبان الثورة السورية، فالنظام السوري وعربونا للوفاء لإيران قدّمت لها مكتسبات اقتصادية وتركت لها حرية ممارسة نفوذها الثقافي و"الطائفي" ونجحت في افتتاح حسينيات ومدارس شيعية على المذهب الإثني عشري، كما أنّها نجحت في نشر اللغة الفارسية، وهي كلّها تندرج ضمن "القوة الناعمة" لإيران بإزاء تدخّلها العسكري.

[٢٧] من إجابات لأهالي المنطقة التقتهم دير الزور ٢٤، وتواصلت معهم وناقشت بعض المحاور معهم.

## خاتمة / توصيات ومقترحات

ختاما ومن خلال المحاور التي تم مناقشتها حول ملف التشيّع في دير الزور، يجد القارئ نفسه أمام ملفّ مهم كثيرا، وبخاصة لأبناء دير الزور، الذين عانوا خلال عدة سنوات من سيطرة تنظيم داعش، وما كادوا ينتهون منه أو بالموازاة وجدوا أنفسهم أمام سيطرة شبه كلية على قطاعات كبيرة من مناطقهم، وكيف أنّ إيران تمارس فيها نشر التشيّع.

ومع أنّ الأعداد والأرقام ليست كبيرة، لكن من شأن ترك المجال لإيران أن تنشر التشيّع بوتيرة أسرع، مستغلّة أبناء العشائر والحالة الاقتصادية والبطالة التي يعيشونها في ظلّ انعدام فرص عمل مناسبة، وكذلك تقديمها لحوافز مادية ومعنوية كفرص زيارة إيران بالمجان وغيرها من الأساليب، ويجد العاملون في الشأن العام من أبناء دير الزور أنّ لهذا خطورة كبيرة في المستقبل القريب والبعيد، إذ أنّ إيران تهدف لتغيير بنية المجتمع لخلق شرخ بين أبناء العشائر.

وهنا وفي نهاية البحث نقدّم مجموعة توصيات ومقترحات لكلّ الفاعلين في الملفّ السوري عامة، وبخاصة الفاعلين في دير الزور:

1- البنية المجتمعية في دير الزور ليست بنية طائفية، ولم يكن ثمة مشكلة طائفية يوما، لكن سيكون لملفّ "نشر التشيّع" دورٌ في اختلاق مشكلات، بعد أن زجّت إيران بأبناء بعض العشائر في طائفة لم يكونوها يوما، وبخاصة مع انسحاب إيران إن حصل.

2- إنّ "التشيّع" مفهوم طارئ، على عكس الشيعة، لذا فإنّ إقحامه في النسيج الاجتماعي لدير الزور سيكون ذات تداعيات غير محمودة.

3- إنّ "التشيّع" ذريعة إيرانية محضة، للتدخّل في المنطقة، لذا فإن الوقوف في وجه التشيّع بالطرق السلمية الممكنة سيقطع على إيران تدخلات مستقبلية.

4- إنّ المجتمع في دير الزور مسلمون "سنّة" لكنه مجتمع معتدل في العموم، لكنّهم لا يُبرزون هوية "سنية" في مواجهة هوية "شيعية" وذلك أنّها في محيط ليس فيه شيعة، ولا ينبغي اللعب من قبل أحد اللعب على هذا الوتر.

5- إنّ دير الزور لها خصوصيتها وليست الحالة فيها مشابهة من الناحية الطائفية للعراق، حتى وإن تشابه معه في الحالة العشائرية.

6- عدم استغلال مسألة "التشيّع" للوقوف في وجه إيران أو "المتشيّعين" معها بطرق عسكرية، وإنما الوقوف على المسألة بطرق سلمية أكثر، وهو أمر مُتاح في حال انسحاب إيران وميليشياتها "الطائفية" من المنطقة.

7- العمل على خلق فرص عمل للشباب في دير الزور، وهو أمر من شأنه أن يقطع الطريق أمام إيران لاستغلالهم ماديا في ميليشياته "الطائفية".

8- التركيز على قطاع التعليم والذي يضم مناهج غير ذات بُعد طائفي وتركز على هويات وطنية، تعتمد على أفكار بعيدة عن التطرّف والمذهبية الطائفية.

9- تكثيف جهود إعادة الإعمار، بحيث تُساهم فيها دول عربية، قطعا لدور إيران المشبوه في سوريا عامة ودير الزور خاصة.

10- تفعيل الدور العربي لمواجهة مخططّات إيران للتدخّل في المنطقة.

11- تفعيل الدور الثقافي للنخبة في دير الزور وخلق فضاءات بالإمكان معها تقديم ثقافة نابعة من ثقافة المنطقة، بعيدا عن الثقافة الفوقية الطائفية التي تحاول إيران نشرها.

12- لا ينبغي اتخاذ "محاربة التشيّع" والحدّ منه، ذريعة لنفي الآخر أو خلق فضاء لكره الشيعة، فمحاربة التشيّع لا تعني عدم احترام الشيعة أينما كانوا.

كافة الحقوق محفوظة لشبكة ديرالزور24

© 2020